الطفل بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط بين مطرقة الحرب وسندان المسغبة "رؤية في تداعيات الإزم وجهود المعالجة"

د./ البشير بوقاعدة

جامعة محمد لمين دباغين–سطيف2.

bachirbougaada@yahoo.fr

الملخص:

ارتكازا على أساس، أنّ الطفولة مرحلة حساسة في حياة الفرد ومحورية في ذات الوقت؛ باعتبارها محطة أساسية في مساره النمائي، وحلقة مفصلية في سلسلة تكوين شخصيته بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية، ومادة هشّة مقارنة بباقي الفئات العُمرية، وأنّ حجم التأثير الذي يطال الطفل تحت سقف الحرب والمفرزات التي تنسحب على حياته بسببها يكون أقوى حدّة وأشدّ ثقلا من وقعها ومفرزاتها على غيره من الفئات العُمرية، توجّه اهتمامنا لمعالجة اشكالية بحثية تحتل مكانة محورية في حقل البحث المتعلّق بالأمن الصحي المادي والمعنوي للطفل، رأينا أن نسهم بمباحثتها رغبة في إثراء الاشكالية التي طرحها القائمون على الملتقى الدولي تخليدا لروحي الفقيدين الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج والأستاذ الدكتور محمد الحبيب بشاري بما يتناغم والمحور الثالث من المحاور المقترحة على أهل البحث قصد **إثرائها، وسمناها بـ: الطفولة بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط بين مطرقة الحرب وسندان المسغبة** "**رؤية في تداعيات الإزم وجهود المعالجة**".

ونحن إذ نأمل إماطة اللثام في حدود الإمكان عن طبيعة المخلفات التي تفتك بصحة الطفل جراء أثقال الحروب التي شهدها المغرب الأوسط على مدار العصر الوسيط وما يصاحبها ويتذيّلها من مساغب وإزم غذائية ومجاعات وأوبئة، وننبش بما أُتيح بين أيدينا من مادة خبرية في جهود النخب بكل أطيافها سياسية أو ثقافية أو دينية للتخفيف من وطأتها على حياته، وتطبيب أوجاعه وتضميد الجراح التي شابت حياته بسببها، ونعاين مدى فعالية ذلك الجهد في تأمين صحة الطفل، ونستتبع مظاهر الجهد التكافلي الذي اصطبغ به الفعل الاجتماعي زمن المسغبة وبين جناحي الأزمة ونقف على صور حية ونماذج ناطقة بذلك، نعتقد أنّ الإجابة على جملة من التساؤلات المطروحة من شأنه أن يُفصح عن غاياتنا من مفاحصة هذه الاشكالية بشكل أقوى وصورة أدق:

فإلى أيّ حدّ تأثّر الطفل تحت سقف الحرب وبين أنياب المسغبة؟ وما طبيعة الآثار التي خلّفتها على حياته بكل مناحيها؟ وفيما تمثّل جهد النخب لتحقيق أمنه الصحي بكل أبعاده؟ وإلى أي حدّ تعايش المجتمع المغرب أوسطي بشكل عام مع أجواء الاضطراب وضروب الحرب التي كانت علامة بارزة على امتداد المسافة الزمنية المؤطرة للعصر الوسيط والطفل بشكل مخصوص؟

الكلمات المفتاحية: الطفل؛ المغرب الأوسط؛ العصر الوسيط؛ المعالجة.

مقدمة:

ارتكازا على أساس، حساسية مرحلة الطفولة في حياة الفرد ومحوريتها؛ باعتبارها محطة أساسية في مساره النمائي، وحلقة مفصلية في سلسلة تكوين شخصيته بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية، ومادة هشّة مقارنة بباقي الفئات العُمرية، وأنّ حجم التأثير الذي يطال الطفل تحت سقف الحرب والمفرزات التي تنسحب على حياته بسببها تكون أقوى حدّة وأشدّ ثقلا من وقعها ومخلفاتها على غيره من الفئات العُمرية، توجّه اهتمامنا لمعالجة اشكالية بحثية تحتل مكانة محورية في حقل البحث المتعلّق بالأمن الصحي المادي والمعنوي للطفل، رأينا أن نسهم بمباحثتها رغبة في إثراء الاشكالية التي طرحها القائمون على الملتقى الدولي تخليدا لروحي الفقيدين الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج والأستاذ الدكتور محمد الحبيب بشاري بما يتناغم والمحور الثالث من المحاور المقترحة على أهل البحث قصدا، وسميناها بالطفولة بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط بين مطرقة الحرب وسندان المسغبة "رؤية في تداعيات الإزم وجهود المعالجة.

ونحن إذ نأمل إماطة اللثام في حدود الإمكان عن طبيعة المخلفات التي تفتك بصحة الطفل جراء أثقال الحروب التي شهدها المغرب الأوسط على مدار العصر الوسيط وما يصاحبها ويتذيّلها من مساغب وإزم غذائية ومجاعات وأوبئة، وننبش بما أُتيح بين أيدينا من مادة خبرية في جهود النخب بكل أطيافها سياسية أو ثقافية أو دينية للتخفيف من وطأتها على حياته، وتطبيب أوجاعه وتضميد الجراح التي شابت حياته بسببها، ونعاين مدى فعالية ذلك الجهد في تأمين صحة الطفل، ونستتبع مظاهر الجهد التكافلي الذي اصطبغ به الفعل الاجتماعي زمن المسغبة وبين جناحي الأزمة ونقف على صور حية ونماذج ناطقة بذلك، نعتقد أنّ الإجابة على جملة من التساؤلات المطروحة من شأنه أن يُفصح عن غاياتنا من مفاحصة هذه الاشكالية بشكل أقوى وصورة أدق: فإلى أيّ حدّ تأثّر الطفل تحت سقف الحرب وبين أنياب المسغبة؟ وما طبيعة الآثار التي خلّفتها على حياته بكل مناحيها؟ وفيما تمثّل جهد النخب لتحقيق أمنه الصحي بكل أبعاده؟ وإلى أي حدّ تعايش المجتمع المغرب أوسطي بشكل عام مع أجواء الاضطراب وضروب الحرب التي كانت علامة بارزة على امتداد المسافة الزمنية المؤطرة للعصر الوسيط والطفل بشكل مخصوص؟.

1. الطفل تحت سقف الحرب "قراءة في الأضرار الاجتماعية:

1.1 اليتم:

إنّ من أبرز ما يستوقف الباحث وهو يطالع تاريخ بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ويعلق في ذهنه كانطباع لامع حول مجريات أحداث هذه الحلقة من حلقات تاريخ الجزائر في الفترة الوسيطة: هو سيطرة مظاهر الصراع العسكري سواء كان داخليا أو خارجيا، دفاعا كان أو هجوما على المشهد العام لحياة المجتمعات زمنئذ. وهذا الجو من الاضطراب، طبيعي سيفرز تبعات سيئة على حياة الساكنة بمختلف أبعادها ومناحيها: سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو ثقافية. ولسنا نغالي في ظل ذلك، إذا اعتقدنا بأنّ الطفل: سيكون الحلقة الأكثر تضررا ضمن مكونات الهرم المجتمعي من ذلك الواقع التأزمي الناجم عن تكرار معارك الحرب وتناسل مظاهر الصراع؛ على اعتبار حساسية مرحلته العُمرية وهشاشة مقوماته النفسية والجسمية. ومن أبرز ما تخلّفه حصائد الحرب على حياة الطفل وتُفضي إليه مفرزاتها على أمنه الاجتماعي: هي حياة اليتم التي تفرضها عليه، وتجبره على العيش تحت سقفها مرغما مكرها.

ولئن كنّا في غنى عن استعراض مشاهد الصراع العسكري الذي عايشته ساكنة جزائر العصر الوسيط؛ بما يكشف حدّة الاضطراب الذي خيم على حياتها، ووقع الأزمة الذي كابدته بين أنيابها، فإنّ الجدير بالإشارة بما يخدم طارحتنا هذه: أنّ هذا الوضع رمى بأثقال عاتية على حياة الطفل عجز عن تحمّلها خاصة تحت سقف حياة اليتم. كما يدفعنا للتنبيه إلى مسألة تصاعد نسبة أعداد اليتامى ضمن مساحة أضرار الحرب إلى نسب عالية كلّما استغرقت الحرب مسافات زمنية معتبرة، وتكرّرت عبر فترات زمنية متقاربة. ونعتقد بأنّ من أبرز مظاهر الحرب ومعاركها التي أسهمت في ارتفاع معدلات اليتم بجزائر العصر الوسيط: ما أسفرت عنه صنوف الصدام الذي دارت رحى حربه بين السلطتين الحمادية والزيرية على مدار حياة كيانيهما السياسيين على بساط المغربين الأوسط والأدنى، ومن أشدّ أوجهها وأعنفها: موقعة سبيبة التي كانت سنة 457هـ/1065م في عهد الناصر بن علناس الحمادي (454-481هـ/1062-1088م) ضد جيوش بني زيري والمتحالفين معها من العرب، والتي مثّلت وجها من أوجه الصراع بين أبناء العمومة لوجه الطموح التوسعي والاستئثار بالسلطة على المجال المغاربي، حيث خلّف هذا الصدام العنيف خسائر بشرية هائلة في صفوف

الجيش الحمادي؛ حيث انكسر الأخير في هزيمة كاسحة أسفرت عن مقتل ما يزيد في تقدير بعض المدونين وكتاب الأخبار عن عشرين ألفا، إذ يقول ابن الأثير: "**وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعا وعشرين ألفا وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في المعسكر**"[1]. ولنا أن نُخمِّن كم عدد الضحايا الذين قُتلوا وهم أرباب أسر لهم أولاد خلّفوهم وراءهم أيتاما، لا أب لهم أو بدون أبوين، وربما بلا مأوى، ولا سند، وحتى لا كافل أو وصي، ونتخيّل حجم المعاناة التي سيرزح تحت نيرها هذا اليتيم إن لم يجد أسرة حاضنة تُخفّف عنه وطأة المعاناة وترتق الفراغ الوالدي الذي يعانيه قدر ما تستطيع؛ لأنّ تضميد جرحه بشكل مطلق وتامٍّ في غاية الصعوبة إنْ لم نقل مستحيلا ما دام والده أو والداه –إن فقدهما كليهما– غير ممكن العودة، وأنّ اليتم هو المصير الأبدي المحتوم عليه.

كما إنّ مما يشهد بسيادة جو الاضطراب وتناسل مظاهر الحرب واستفحال معاركها على بساط المغرب الأوسط في الحقبة الوسيطة، ما عايشته ساكنته تحت سقف الحكم الزياني من ضروب الصراع المتعدّد الجبهات: من الشرق ضدّ بني حفص ومن الغرب ضد بني مرين؛ وكان هذا الأخير أشدّ وطأة على مسار الحياة السياسية للسلطة الزيانية والعامة لساكنة المجال الذي تستظل تحت حكمه. فالقيام بجولة بحثية بين ثنايا المادة المصدرية يكشف لنا أنّ تاريخ بني زيان لم يخل من مظاهر الصراع الحاد مع الجارة الغربية (الدولة المرينية)؛ فالأخيرة وفي مسعى من قيادتها السياسية والعسكرية لتوسيع نفوذها شرقا ومدّ سلطانها إلى أبعد حدّ ممكن، كثّفت من حملاتها العسكرية نحو الجهة الشرقية، وهدّدت الكيان الزياني في العديد من المرات، إذ يذكر الوزان الفاسي: أنّ المرينين احتلوا مملكة تلمسان نحو عشر مرات[2]، لاسيّما على كاهل حروب الحصار التي ضيّقوا بها على مجالها، وعاثت جيوشهم فسادا وتخريبا في ضواحيها ومجالات المغرب الأوسط المترامية جهة الشرق من تلمسان، ومن أبرزها حروب أبي يعقوب يوسف المريني المتكررة على تلمسان ومنها حصاره تلمسان الطويل الذي استغرق نحو تسع سنين بداية من سنة 698هـ/ 1299م، والذي لم يكتفِ بتطويق تلمسان وتشديد الحصار على ساكنتها، بل كثّف من الغارات على المدن الجاثمة بمحاذاتها، وأسرف في إرسال الكتائب والسرايا في أعمال تلمسان في الجهة الشرقية القريبة منها والبعيدة؛ فضيّقوا على أهل ندرومة حتى ضاقت درعا من عنف حملاتهم، واستولوا على وهران، وهنين، ومستغانم، وتنس، وشرشال، وبرشك، والبطحاء، ومازونة،

وونشريس، حتى قيل أنّ جميع بلاد بني عبد الواد عدا تلمسان باتت في قبضة السلطة المرينية وتحت سلطانها[3].

وبديهي أنّ تلك الحروب التي دارت رحاها بين الطرفين لأجل الأطماع التوسعية لم تمر تبعاتها بسلام على ساكنة المغرب الأوسط ومن ضمنها شريحة الطفولة، وكان اليتم أحد أبرز مفرزات ذلك الصراع على حياة طفل المرحلة المدروسة[4]. ولا بأس أن نستأنس بما أحالت إليه الدراسات النفسية بشأن الأضرار التي تلحق حياة الطفل في غياب والديه عن حياته، وفقدانهما، خصوصا إن كان ذلك أمام ناظريه في معارك الحرب وحصائد وجرائمها في حق الانسانية، فبالإضافة إلى تزايد معدلات اليتم كما تمّت الإشارة إليه سلفا، وتصاعد أعدادهم، تتضرّر حياتهم بكل أبعادها وخاصة النفسية؛ فالطفل –كما هو معلوم– لا زال في مرحلة النمو والبناء والتكوين، لاسيما إن كان في مرحلة الطفولة المبكرة بحكم أنّها أكثر حساسية لمواقف الانفصال في مسار نموّه الانفعالي؛ ذلك أنّ الطفل لا يزال –كما يقال– متورطا إلى أقصى حدّ في تنمية علاقة مركزة مع والديه، وبذلك فإنّ انفصاله عن والديه وفصم علاقته بهما الاجتماعية والعاطفية، يُؤدِّي إلى حدوث اضطراب في بناء علاقة عاطفية واجتماعية جديدة مع عناصر الأسرة الكافلة له أو الوصية عليه[5].

1. 2 مسألة الكفالة:

لقد تقرّر لدينا في عرض مادة المبحث السابق بأنّ من بين مفرزات الحرب السيئة على حياة طفل المرحلة المدروسة تحت جناح الاضطراب وضروب الصراع العسكري الذي شهده المغرب الأوسط على امتدادها: مسألة اليتم وفقدان الأب من حياته. وليت الأمر قد اقتصر على فقدانه لوالده في ميدان الحرب، بل إنّ هناك من الأطفال اليتامى من لم يحظ بأسرة كافلة تمنحه الرعاية الاجتماعية الكافية ليعيش حياة اجتماعية طبيعية؛ ذلك أنّ هناك من الأقارب من رفضوا كفالة اليتيم تحت طائل ظروف معينة، وهناك من وجد أسرة تكفله لكن دون أن يحظى بالرعاية المناسبة في ظل تعسّف الكافل والوصي في حقه، وسياسة التمييز التي اتبعها في رياضته وتربيته مع أبنائه. وبذلك يتعمّق جرح الأزمة الاجتماعية والنفسية التي يكابدها الطفل اليتم، وتتضاعف أثقال اليتم على حياته بكل أبعادها.

وإذا رمنا معاينة جوانب من طبيعة المعاناة التي كابدها بعض الأيتام بسبب مشكلات الكفالة التي ذكرنا، فنعتقد أنّ ما أبانت عنه المادة النوازلية ضمن مسائل الكفالة التي

احتفظت بها، خير معين لملامسة الغرض. وعليه فإنّ من بين المشاهد الناطقة بصنوف الاهمال والتفريط والتعدي على كيان المكفول معنويا في ضوء نصوص النازلة والتي توحي بواقع المعاناة الذي كابدته شريحة من الأيتام خاصة ضمن فئة الإناث بسبب سوء المعاملة من طرف الوصي أو الكافل، أو اعتماده سبيل العنف في التربية، أو عدم تلبية حاجاته الاجتماعية بالصورة الكافية وعلى الوجه المحمود، ما تفضّل به علينا صاحب المعيار في مسألة اليتيمة التي "**كانت مع عمّ لها فكان يضرّ بها في الاستخدام والجوع إلى أن بلغت ففرت بنفسها إلى رجل راغبة منه أن يتزوجها وهو كفؤ لها، فطلب الرجل من عمها المذكور أن يعقد نكاحها منه فامتنع من ذلك وثبت ضرره بها**"[6]. وحتى وإن كنّا لا نحوز على نص صريح يكشف لنا سبب يتم هذه الطفلة هل بسبب الحرب أم بغيره، فإنّ جور هذا العم واضع من فحوى هذه المسألة، وسوء معاملته لها تكشف عن وجه من أوجه تعدّي الكافل على مكفوله، وخيانته لأمانة الكفالة، واستهانته بعظيم مسؤوليتها. وليست هذه المسألة فحسب الناطقة بتعدّي الكفلاء على الأيتام الذين تحت رعايتهم، بل يحيطنا النص النوازلي بصور أخرى عن ذلك: والتي منها إكراه البنت على الزواج ممن لا ترغب فيه، واستغلال ضعفها للزج بها في حياة اجتماعية لا ترضاها. ومن العينات التي يصدق في حقها ما ذكرنا: النازلة التي رُفعت إلى الفقيه سعيد العقباني (ت.811هـ/1408م) قاضي بجاية وتلمسان وسلا ومراكش، بشأن البنت اليتيمة التي خاف عليها قومها من الفساد، فأرادوا تزويجها وهي كارهة[7]، أو البنت اليتيمة التي تولَّى كافلها تزويجها غصبا من رجل لا رغبة لها في الزواج به، لكنها هربت منه مع رجل آخر ادّعت نكاحه[8]. وليس هذا فحسب بل تمادى استبداد بعض الكفلاء إلى درجة سلب حرية البنت التي يكفلها والتضييق على إرادتها حين أرغمها على الزواج من ابنه دون إرادتها، وهو ما تنهض به نازلة الرجل الذي "**مات وترك ابنته فادعى رجل أنّ والدها أعطاها له في حياته**"[9].

مثّلت كذلك قضية النفقة على اليتيم إحدى المعضلات التي عايشها اليتيم في بيت الكفالة وبالأخصّ إن كان فقيرا لا مال له وصادف بيتا فقيرا يكفله، أو الذي عجزت والدته عن سدّ متطلباته الأساسية، أو في حالات رغبت الأم الزواج ولم تهتدِ إلى بيت يكفل أيتامها. ولعلّ من أبرز الشواهد التي تقرّب إلى أذهاننا صورة عن ذلك الواقع ما أوردته مدونات الفقه النوازلي في هذا الصدد، ومن ذلك: محتوى نازلة الذي تطوع بالنفقة على ربيب وتعهّد بذلك

لأمه مدة الزوجية بينهما، لكنّه بعدما طلّقها واحدة وتزوّجها ثانية، أرد أن لا ينفق عليه؛ لأنّ ذلك نكاح آخر[10]. وإلى جانب ذلك عانى بعض المكفولين من تجاوزات الكافل غي المبررة، ومن أوجهه: استغلال البنت المكفولة من طرف الكافل؛ ذلك أنّ بعض الكفلاء عمد لاستغلالها في تلبية حاجات أسرته كخدمة البيت والقيام بأعبائه، وذلك ما تفصح عنه مسألة "**كافل يتيمة تخدمه وهو يطعمها ويكسوها، هل تعطى من الزكاة ما ترتفق به في كسوتها؟**"[11]، أو مسألة البنت التي كان زوج أمها يستخدمها[12].

1. 3 الخلافات الزوجية:

إلى جانب ما تمّ طرقه، ساهمت المشاكل الأسرية هي الأخرى في تفاقم واقع الأزمة التي أحاطت بكيان بعض الأسر بجزائر العهد الوسيط؛ ونقصد بذلك تبعات خلافات الزوجة مع زوجها بسبب رفضها خروجه من بيت الزوجية والغياب عن أسرته مدة طويلة انشغالا بأمور الحرب أو نحوها على حياة الطفل بكل أبعادها وفي شتى مناحيها. ذلك أنّ هناك زوجات طلبن الطلاق في غياب أزواجهن من القاضي، ومنهن من تزوجت في غيابه بزوج آخر. وما يهمنا في هذا الصدد هو مصير الأطفال إن رفض الزوج الثاني أن يتعهد بحضانتهم، أو فرّطت الأم فيهم وآثرت الزواج على رعاية أبنائها والبقاء معهم في غياب زوجها تاركة مهمة رعاية أولئك الأبناء للكفلاء الشرعيين للتكفل بهم ورعاية شؤونهم. وفي تقديرنا فإنّ هذا الواقع من الطبيعي أن يعمِّق من جرح معاناة الطفل. ولقد نطقت عديد المسائل الثاوية في جوف مدونات الفقه النوازلي بمساحة من مظاهر ذلك الواقع، من مثيل: اشتراط بعض الزوجات على زوجها في عقد القران أن ألاّ يغيب عنها غيبة قريبة ولا بعيدة قبل البناء أو بعده أزيد من ستة أشهر[13].

كما إنّ من المشاكل الأسرية التي نجمت عن غياب الأب عن وسطه العائلي مدة معتبرة لوجه الحرب أو غيرها من أسباب الغياب: مسألة تسلّل الشك إلى نسيج العلاقة الزوجية، وعدم ثقة الزوج في حليلته في غيابه عن فراش الزوجية؛ وذلك أنّ منهم من نفى أن يكون الولد الذي وجده في بيته عند عودته من غيبته ولده ومن صلبه. ومن البديهي أن يؤثر هذا سلبا على حياة الطفل المعنوية والعاطفية، وحتى على مستقبله إن رفض هذا الزوج تقبّله، أو طلّق أمّه، ونحو ذلك من المخلفات السلبية المحتملة على حياته بكل أبعادها. ولسنا ننطلق من عَدَمٍ ونحن نورد هذا، بل تشفع له النازلة التي أوردها الونشريسي

في معياره تحت عنوان: "**من قدم من سفر ووجد مولودا فنفاه عنه ولم يتهم زوجته بالزنى**"[14].

1. 4 الترمل وأثره على حياة الطفل:

لا مراء في أنّ النساء اللواتي يفقدن أزواجهن بسبب الحرب أو غيرها من أسباب الموت، إن لم يخلِّف لهن أزواجهن مصادر عيش تقيهم شرّ المسغبة، وتعينهم على سدّ متطلبات العيش، ستتضاعف مسؤوليتهن الأسرية، وتتنامى أعباءها على عاتقهن، وكلّما عجزن عن توفير متطلبات الأسرة، كلّما انعكس ذلك سلبا على حياة الأبناء، وضاعف من حجم الضرر الذي يكابدونه بسبب ضروب الصراع العسكري المتفشي على مشهد حياتهم، وأزمة الفقر والخصاص الذي يحيط بها.

1. 5 الفقر والجوع:

الانسان في مرحلة الطفولة كما هو معلوم في حاجة ماسة إلى عناية مركزة بنظامه الغذائي، والعناية بحاجاته المتنوعة من حيث السهر العالي على تلبيتها، غير أنّ مناخ الحرب يعصف بهذا النظام الحياتي، ويفرض ظرفية عصيبة على حياة الطفل، تفرض أعباءها الثقيلة على نظامه المعيشي خاصة مسألة توفير حاجاته ومتطلباته الأساسية للحياة من طعام ومأوى. وليس بخاف عنّا أنّ الطفل أضعف من أن يصمد تحت طائل مفرزات الحرب؛ فإذا كانا والداه بإمكانهما الصبر برغم المعاناة، والصمود تحت سقف الإزم قدر ما يستطاع، فإنّ الطفل لا تهون أمام ناظريه مشاهد المعاناة ولا يقدر على التأقلم مع واقعها المتناسل وضررها المتجدد، وبذلك فباعتباره الحلقة الأضعف في الهرم الاجتماعي من حيث القدرة على التحمل كان حجم الضرر الذي يكابده أعظم من غيره من شرائح مجتمعه. وليس بخافٍ كذلك أضرار الحرب على الحياة الاقتصادية؛ ذلك أنّها تعصف بها، فيضعف الإنتاج المعاشي الذي تسترزق منه الأسر إذا أحرقت المحاصيل الزراعية ونُهبت الحيوانات وسُلِبت، وأفسدت الذخائر وأغتصِبت. ومما يشهد بذلك: أنّ بعض القائمات على أسرهن في غياب أزواجهن أضطررن إلى بيع أغراض البيت. وهو ما تفصح عنه النازلة التي عُرضت على أبي عبد الله بن مرزوق بشأن المرأة الحاضنة لابنتها التي أقدمت على بيع أغراضها حين احتاجت[15].

كما إنّ من المشاكل الاجتماعية التي طرحت نفسها بإلحاح في حقل قضايا المجتمع المغرب أوسطي في الفترة الوسيطة ما تعلّق بما يطال حياة الطفل من أعباء اجتماعية لا تتناغم وسنّه أو مرحلته العُمرية؛ ونقصد بذلك اضطلاعه بوظيفة الأب في حال غيابه عن وسطه العائلي وانشغاله بأمور الحرب. حيث يقتحم ميدان العمالة بشكل اضطراري، رغبة في سدّ متطلبات الأسرة. إذ منهم من يعمد إلى تأجير نفسه أو ممارسة نشاط حرفي أو صنعة وهو في مرحلة عُمرية لا تسمح له بذلك ولا تؤهّله للاضطلاع بتلك الوظيفة عقلا وجسما. ولا شكّ أنّ لولوجه عالم الشغل في هذا السن المبكر تبعات سيئة على حياته النفسية والجسمية والتربوية والتعليمية. ونحسب أنّ ما عبّرت عنه بعض المسائل النازلة يشهد بواقع معاناة الأسرة في غياب المعيل، من خلال ما نطقت به مسائل: "في ضيق من الحال"، "في ضيق من المال"، "ليس في البلاد من يقوم بها"، "خافت على نفسها وحالها الفقر" و"هي محتاجة"[16].

كما تضعنا المادة التراجمية على مساحة من ذلك الواقع المتأزم، شأن ما أورده ابن مريم التلمساني عن طفولة أحمد بن محمد ابن زكري التلمساني (ت 899هـ) الذي مات أبوه وتركه صبيا في حضانة أمّه، فأرسلته ليتعلّم الصنعة أمام ضغط الحاجة وضرورة الخصاص والفقر[17].

1. 6 الهجرات القسرية بسبب الحرب وآثارها على حياة الطفل:

إنّ أي مجتمع يُخيّم مشهد الحرب والصراع العسكري على حياته طبيعي أنّه سيعاني الأمرّين كما يقال، فحياته تُهدّد، وأمنه يتزعزع واستقراره السياسي يتضعضع، واقتصاده يُنسف وموارد دخله تتعطل ومصادر رزقه تجفّ، وقد يضطر للهجرة أمام ذلك الوضع المتأزم. ومن ثمّ كانت الهجرة القسرية عند البعض ممن عانى تحت جناح الحرب، وجها من أوجه الخلاص من ويلاتها، وتلافي أضرارها، وتجنّب مؤثراتها السلبية، خاصة إن تذيّلت تلك الحروب مظاهر الإزم كالأمراض والأوبئة والمجاعات. غير أنّ سبيل الهجرة الاضطرارية هذه حتى وإن كان أحد المخارج الآمنة لتفادي مفرزات الحرب ونتائجها السلبية إلى حدّ ما، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ معدلات الأمان تظل مرتفعة بشكل مستديم وأنّها لا تؤثّر سلبا هي الأخرى على حياة عناصر الأُسر المتنقلة لاسيما إن كان ذلك فعلا متكررا أمام تناسل مظاهر الحرب، وخصوصا على شريحة الأطفال؛ الذين يُحتمل أن يُسهم ذلك التنقل المتكرر

في تراجع معدلات نموهم وتقهقر مستواهم التعليمي، تحت ضغط الإرهاق الجسدي والنفسي، وعدم الاستقرار والتنقل المستديم[18]. أمّا من بين الحوادث التاريخية التي تحيلنا على جوانب من معاناة ساكنة المغرب الأوسط في العهد الوسيط التي أجبرت على الهجرة وترك مجالها بسبب الحرب ومخرجاتها السيئة، فنعتقد أنّ نتائج حصار بلكين بن زيري لمدينة تلمسان سنة 362هـ/ 972م قد تصدق على ما نرمي إليه؛ ذلك أنّ هذا القائد أجلى أهل زناتة بعدما استسلموا له إلى مدينة أشير[19]. ويحتمل أنّ هذه الحرب بتبعاتها السيئة على الفئات المهجّرة قد أثرت على حياة الطفل، وأسهمت في تعميق معاناته تحت طائل هذه الهجرة القسرية.

1. 7 تعرض الاطفال للأَسر والقتل:

لا ريب أنّ مساحة معاناة الطفل بسبب الحرب واسعة، فإلى صف ما تمّ بسطه في المباحث السالفة، تنضمّ إليها الآثار السيئة على حياته بكل أبعادها إذا ما تعرّض للقتل والأسر. ولسنا نعدم المشاهد التاريخية الكاشفة لتعرض أطفال المرحلة المدروسة لعمليات الأسر والقتل الجماعي في خضم الصراعات العسكرية التي غذّتها الكيانات السياسية المغاربية زمنئذ. ومن أوجه ذلك: أنّه في خضم الصراع المريني العبدوادي الذي اعتلى المشهد العام لحياة ساكنة الاقليم خلال الفترة مدار الدرس، كان الأسر نتيجة رديفة للعديد من معاركه كما هو الحال في نتائج موقعة 666هـ/ 1267م التي انهزم فيها الجيش العبدوادي أين انتهب بنو مرين مضاربهم وعيالهم[20]، أو حصار يعقوب المريني لتلمسان سنة 670هـ/ 1271م عندما تمّ أسر وسبي الأطفال والنساء[21]. كما وقعت فئة من أطفال ونساء الدولة الزيانية تحت ربقة الأسر في الحصار المريني لتلمسان سنة 679هـ/ 1280م[22]، وكذلك لم ينج البعض من ساكنة الأقاليم التلمسانية من الأسر والسبي من طرف الجيش المريني بعد اقتحامها في السنة السابعة والثلاثين بعد المائة السابعة من الهجرة[23].

إلى جانب ما تمّ استعراضه بشأن معاناة الطفل بسبب ويلات الحرب كالسبي والأسر، لم ترحم الحرب حياة الطفل ضمن الصراعات التي شهدها المغرب الأوسط خلال الحقبة المخصصة للدراسة، وإنما كان من ضحاياها العديد من الأطفال الذين قُتِلوا وزُهِقت أرواحهم. ونحسب أن من أفضل ما يشفع لهذا الرأي: ما أفضت إليه حملة ابراهيم بن الأغلب في حملته العسكرية على أهل الزاب سنة 268هـ، من مظاهر الفتك بهم، حيث يذكر ابن عذاري: أنّه فتك بهم "**فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحُفر**"[24]. ومن جرائم الحرب كذلك

في حق الأطفال التي حصدت أرواحهم ما اقترفه ابراهيم أخو حماد بن بلكين في أيام خروجهما على باديس بن المنصور الزيري؛ حيث يذكر النويري: أنّه لما راح ابراهيم إلى القلعة الحمادية، وقد هرب منها جماعة من الرجال، وانضموا إلى باديس، وتركوا نساءهم وأطفالهم، فأقبل ابراهيم يذبح الأولاد على صدور أمهاتهم ويشق بطونهم[25].

ولئن صحّت هذه الرواية، فإنّها حقا تعدّ من الجرائم العظيمة في حق طفل جزائر العصر الوسيط التي أُقترِفت من طرف بني جلدته في العرق والملّة، فكيف يصل الأمر بقائد مسلم لوجه المنفعة السياسية أن يذبح الأطفال على صدور أمهاتهم؟ فإن كنّا لا نستسيغ هذا السلوك الإجرامي وهو يصدر من أعداء المسلمين من النصارى الصليبين المتطرفين الحاقدين على الاسلام وأهله فكيف بنا نستسيغه أن يصدر من رجل مسلم في حق أبناء عشيرته أو قبيلته؟.

2. الأضرار الصحية:

من بين الأمور التي يمكن التوقف عندها بشكل موجز ونحن ننبش في مظاهر الأضرار التي ألحقتها الحرب بصحة الطفل الجسمية والنفسية في جزائر العصر الوسيط، ما نستعرضه فيما يلي:

في ظل تعدّد مفرزات الحرب السيئة على النسيج الاجتماعي، عُدّت الحرب من بين الأسباب المساهمة في انتشار الأمراض، والإضرار بصحة الفرد والمساس بأمنه الصحي؛ إذ لا يخالجنا الريب قيد أنملة، بأنّ العنف الحربي كلّما كان سمة بارزة على المشهد العام للحياة، كلّما كان هاجسا يؤرق المجتمعات، ويعصف بمنظومتها الصحية. وما دام لا يخفى علينا الترابط الكبير بين أنشطة الانسان وتداخلها فيما بينها؛ بحيث إنْ تأثّر نشاط سلبا تأثرت باقي الأنشطة بصفة متلازمة، فالاضطراب السياسي والعسكري يؤول إلى زعزعة التماسك الاجتماعي، وينسف البنية التحتية للاقتصاد، ويعطّل أنشطة الثقافة والفكر ويعيق حركيتها.

لذلك فإنّ تسلط مظاهر الاضطراب العسكري على حياة الفرد، وتدهور أنشطته الاقتصادية وكسادها وتعطّل مقوماتها وتضعضعها، يؤول إلى انتشار المجاعات وحالات الفقر واستفحال الجوع والفاقة، وإذا عجزت الأسر عن توفير لزوميات حياتها الضرورية وتعسّر عليها سدّ متطلباتها الأساسية وأحاط بها الفقر والخصاص بمخالبه وضيّق على

مخنقها، فإنّ ذلك قد يعصف بالأمن الصحي وينسف منظومته، فتنتشر الأمراض الناجمة عن سوء التغذية وتستفحل مظاهرها. وقد تتفاقم الأمور الصحية وتزداد سوءا إنْ صاحب تلك الأزمات الغذائية ظهور الأوبئة والطواعين؛ بسبب الروائح المنبعثة من جثث القتلى ونحوها من المسببات التي للبشر يد فيها على كاهل الحرب والصراع العسكري. وممّا نراه قد يصدق برهانا على ما نرمي إليه وما بسطناه آنفا: معاناة أطفال تلمسان في خضم مرحلة الحصار المريني الذي أحاطت أنيابه بالمدينة مدة زهاء تسع سنوات بداية من سنة 698هـ/ 1299م[26]، والذي كان حصارا شديد تكاد الطير لا تدخل المدينة ولا تحلق فوق سمائها من شدّة إحكامه عليها وإحاطته بمخنقها، وبالرغم من أنّ الساكنة التلمسانية صبرت تحت جبروت ذلك الحصار إلّا أنّه لم يكن صبرا جميلا أمام نفاذ الطعام من مخازن المدينة، واستفحال الجوع في أوساط أهلها، إلى درجة كما قيل أنّهم من شدّة بلاء الجوع وعظيم المسغبة التي ألمت بهم اقتاتوا من فضلاتهم؛ حيث يذكر أهل التدوين التاريخي ومنهم ابن أبي زرع وابن الأحمر[27]: أنهم عمدوا إلى غائطهم فعرّضوه إلى الشمس ليبيس ويجفَّ، وتناولوه طعاما لحفظ الحياة والنجاة من شرّ الجوع وبلاء المسغبة.

كما أعقب هذا الحصار أزمة غذاء ومجاعة عظيمة تحدثت عنها كتب التاريخ بإسهاب، وسجلت مآسيها، كما راق لأحد الباحثين التعبير عن آثارها العميقة على البنية الاقتصادية ومخلفاتها على النسيج المجتمعي[28]. وبالمثل ما كابده أطفال المغرب الأوسط تحت جناح المجاعة العظيمة التي اجتاحت المنطقة سنة 776هـ/ 1373م والتي أتبعها غلاء فاحش في الأسعار لم تستطع العائلات الميسورة الصمود أمام الارتفاع المهول لأسعار السلع الأساسية فما بالنا بمستوى صمود العائلات المعوزة والمحتاجة[29].

وإلى جانب هذا الأذى العضوي الذي يلحق بجسم الفرد –كبيرا كان أو صغيرا– وبالأخص فئة الأطفال بسبب الحرب ومخلفاتها السيئة في ظل ما يطاله من أمراض ناجمة عن سوء التغذية والفقر والخصاص[30]، عانى الطفل المغرب أوسطي كذلك من أمراض معنوية كتنامي هواجس الخوف ومرض الأرق والاكتئاب[31] وذلك حينما لا تغادر مخياله مشاهد الحرب، وضروب العنف الممارس في مسارها؛ من قبيل: طرائق القتل، والتعذيب والمثلة والتشويه كقطع الرقاب وجزّ الرؤوس وتعليق الجثث على الأبواب والممرات؛ ذلك أنّ

هذه المشاهد إن كانت قد لا تمرّ بسلام على نفسية الفئات الراشدة فما بالنا بالأطفال الصغار؟.

ومن الأمثلة الشاهدة بذلك ما أفضت إليه حرب الحصار التي شنّها الأمير أبو فارس على قسنطينة سنة 681هـ./ 1282م للضرب على يد الوالي ابن الوزير المتمرّد بها؛ حيث عمد الأمير بعد انتصاره عليه إلى قتله هو وأشياعه، وأمر بنصب رؤوسهم بسور البلد تمثيلا بهم وعبرة لأجناسهم[32]. ولا يختلف عن ذلك ما عاينته الساكنة التلمسانية من مشاهد العنف الحربي في سلوك السلطان المريني أبي الحسن عقب نجاحه في اختراق دفاعات تلمسان سنة 737هـ/ 1337م واقتحام أسوارها؛ أين أمر بقتل المدافعين عن قصر السلطان الزياني المحصور (أبو تاشفين)، ورفعِ رؤوسهم على عصا الرماح والطواف بها في البلد المقتحم[33].

3. مخلفات الحرب على حياته التعليمية والتربوية:

لا تفوتنا الاشارة في هذا الصدد إلى مشكلة عدم قدرة المشرف على إدارة شؤون الأسرة بصورة طبيعية كعجزه عن توفير بعض متطلبات الطفل في مجال التربية والتعليم، ومن ذلك: ما اختصّ بتوفير الأدوات المدرسية، ومما يؤكّد هذا التخريج ما رواه محمد السنوسي عن والدة الذي كان في صغره يقرأ مع الأولاد ولا يملك أدوات مدرسية[34]. كما تفيدنا المادة التراجمية بما يكشف جانبا من عجز بعض الأسر عن توفير الجو المناسب لبناء شخصية الطفل التربوية والتعليمية، ومن ذلك: أنّ الشيخ محمد بن ابراهيم التلمساني الآبلي (ت. 757هـ./ 1355م) لم ينل حلاوة تربية والده[35].

ونحسب أنّ انشغال الطفل بأمور العمل وسدّ متطلبات أسرته الفقيرة التي لا معيل لها غيره واقتحامه ميدان الشغل والعمالة على حساب دراسته وتحصيل المعرفة، سينعكس سلبا على حياته التعليمية والتربوية ومسار تنشئته. إذ يلفت انتباهنا أحد الباحثين إلى أنّ إقحام الطفل في مجال الشغل وتعلّم الصنائع على حساب العلم لاسيّما دون رغبة من الطفل، من شأنه أن يشعره بالكبت والظلم، وبأنّه مسلوب الاستقلالية الذاتية وحريته الشخصية[36].

4. جهود النخب لتأمين الطفل من مخلفات الحرب وتبعاتها السيئة:

لم تكن أعين النخب المغرب أوسطية على اختلاف أطيافها مغمضة عما عايشته الساكنة من إزم متلونة جرّاء وبال الحرب ومخلفاتها السيئة، بل بذلت جهودا مضنية قبل اشتعال نار الحرب في سبيل منع وقوعها، أو في خضمها في مسعى إخماد فتيل نارها قبل

استفحاله وتوسّع تأثيراته السلبية على النسيج المجتمعي، أو بعدها لكبح جماح المنتصرين الراغبين في الانتقام من المنهزم والتعبير عن نشوة النصر بأساليب تعنيفية وطرائق بشعة. ومن مظاهر ذلك الجهد:

– جهود التشفع والوساطة التي اضطلعت بها الشخصيات العلمية كالفقهاء ورجال العلم، أو ذات النفوذ والمكانة في بلاط الأسر الحاكمة زمنئذ كأمهات السلاطين أو زوجاتهم أو المقربين إليهم في النسب وصلة الرحم، في سبيل رأب الصدع الذي حدث بين رجال البلاطات المتناحرة والمتنازعة، والمعبّرة عن رفض الحرب وذمّ القتل والعنف وكل مظاهر الاضطراب والهلع التي تفرزها الحرب على الرعية، ومن أبرزها: رواية ابن قنفذ بشأن حادثة حصار علي بن اسحاق بن غانية لقسنطينة، والتي تعكس سلوك استنجاد الساكنة بأحد شيوخها وأوليائها وصلحائها للخلاص من مغبة الحصار المضروب عليهم هو الشيخ علي بن مخلوف حين طلبوا منه الدعاء بعدما ضاق بهم الحصار وانعدم الماء، "**فسأل الله المطر فنزل**"[37]. كما يصدق في حق ما نتشوّفه: موقف الولي أبي زيد عبد الرحمن الهزميري (ت.706هـ) الذي استنكر بشدّة سياسة أبي يعقوب يوسف المريني الحربية تجاه تلمسان الزيانية وذلك في حصارها الطويل لها ابتداءً من سنة 698هـ[38].

– نصيحة السلاطين وتنبيههم لمغبة ما يقدمون عليه إذا لم يتورعوا عن سبيل الحرب كطريق لبلوغ أغراضهم التوسعية ومطامحهم العسكرية من طرف رجال العلم والحكمة، من مثيل: نصيحة أحد الأولياء المتصوّفة للأمير المرابطي تاشفين بن علي بعدم ملاحقة الجيش الموحدي المحاصِر له في وهران سنة 539هـ/1144م[39].

– دور بعض النساء من ذوات الحظوة في أعين سلاطين وحكام المرحلة والمجال المخصص للدراسة في منع وقوع الحرب، أو في سبيل إيقافها، شأن إسهام السيدة "أمّ ملال" بنت المنصور بن يوسف الصنهاجي التي أشركها أخوها باديس بن المنصور في تدبير أمور دولته وأخذ برأيها الصائب في الكثير من القضايا السياسية والعسكرية، حيث لمّا مات باديس وهو مُحاصِر عمه حماد في قلعته سنة 406هـ/1016م وخلفه ابنه المعز على عرش بني زيري، وتولّت عمّته وصايته، لعبت دورا محوريا في إخماد الفتنة بين أبناء العمومة على إثر فشل حصار أخيها للقلعة وتجدُّده في عهد وصيِّها، وتُوِّج الأمر بالصلح بين الطرفين واعتراف المعز باستقلال حماد بالمغرب الأوسط عن جسم دولته سنة 408هـ/1018م[40].

– كما بذلك السلطة هي الأخرى جهودا معتبرة في بعض الأحايين لرأب الصدوع التي تتخلّل علاقاتها فيما بينها ومعالجة التشنجات التي تهدّد استقرارها، وتفضي إلى الحرب والمنازعة العسكرية فيما بينها. ومن بين الشواهد التاريخية الناطقة بذلك: أنّ السلطان الزياني أبا حمو أرسل ابنه أبي تاشفين على رأس السفارة الموجهة لعقد الصلح مع أبي سالم المريني سنة 762هـ/1360م، وأنّه أرسل كذلك محمد بن أحمد الشريف التلمساني سنة 764هـ/1364م في سفارة إبرام الصلح مع أبي اسحاق الحفصي حاكم بجاية، كما أرسله في سفارة أخرى إلى المغرب الأقصى سنة 767هـ/1366م لاستكمال مراسيم عقد الصلح مع المرينيين[41].

– دور العقل الفقهي في تطبيب أوجاع المجتمع الأسرية من خلال اجتهادات الفقهاء في ضوء نصوص الشرع وبحثهم في الحلول المناسبة لمعالجة مشاكله العائلية خاصة ما تعلّق بالقضايا النازلة في حقل الأحوال الشخصية كالطلاق والخلع، ومسائل الكفالة والحضانة، ولقد فصّلنا في جوانب من هذا في متن هذه الورقة البحثية بحسب ما يقتضيه موضعها وتستدعيه الحاجة البحثية وتتطلبه في مسعى الاستشهاد على الأطاريح التي تبنّيناها في معالجة موضوع البحث.

الخاتمة:

من خلال ما تمّ تناوله في جسم هذا العمل البحثي، كان من أبرز ما خلصنا إليه:

– تعدّدت أوجه المعاناة التي كابدها طفل المرحلة المدروسة تحت طائل الحرب، وتنوعّت، وكان أعظمها ما تعلّق بأضرارها على حياته النفسية.

– بالرغم من أنّ الطفل لم يكن فئة مستهدفة بشكل مباشر في خضم مظاهر الصراع التي نشبت في مغارب العصر الوسيط، والحرب التي دارت رحاها فيما بينها، إلّا أنّه تحمّل كغيره من فئات المجتمع أثقالها، وكابد محنها، وعانى من إزمها؛ فالحرب كما هو معلوم إذا نشبت نارها في أرض مجتمع لم تترك لا أخضرا ولا يابسا كما يقال.

– لعبت النخب العلمية دورا محوريا في مسعى تلافي مخلفات الحرب السلبية على النسيج الاجتماعي، غير أنّها لم تكن كافية لتضميد الجراح التي خلّفتها معارك الحرب التي عايشها على حياة عناصره، خصوصا فئة الطفولة؛ باعتبارها كما ألمحنا إليه في مضمون هذا البحث، تعد الحلقة الأضعف ضمن النسيج الاجتماعي تحمّلا وصمودا أمام ويلاتها، ومفرزاتها السلبية.

– لا يمكن دراسة تاريخ الطفولة بمغارب العصر الوسيط بمعزل عن تاريخ مجتمعاتها وأسرها؛ بحكم الجفاف الخبري الذي تعانيه النصوص المصدرية فيما يتعلّق بالتأريخ لهذه الفئة العُمرية.

البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، المغرب، 1972.

2. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

3. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

4. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001م.

5. ابن الأثير محمد، الكامل في التاريخ، مج1، تح، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

6. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

7. ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق، الدراجي بوزياني، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

8. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج. س. كولان وإ. ليڤي بروڤنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.

9. ابن قنفذ أحمد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، صححه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب،1965.

10. ابن قنفذ أحمد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

11. ابن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1429هـ /2008.

12. البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج2، تح، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2002.
13. التلمساني ابن مريم محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه، 1336هـ/1908م.
14. التنبكتي أحمد بابا (ت1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/ 1989م.
15. المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح، مختار حساني، ج3، الجزائر، دار الكتاب العربي،2009.
16 النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج17، تح، عبد المجيد ترحيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م.
17. الونشريسي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب، ج5، اخراج، محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م.

ثانيا: المراجع:

18. الحداد حميد، النفي والعنف في الغرب الاسلامي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
19. الحفناوي محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، الجزائر مطبعة بيير فونطانة، 1324هـ/ 1906م.
20. الناصري أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تح، جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.
21. الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
22. بلعربي خالد ومحمد ناصري، الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر أنموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، جامعة الجيلالي اليابس سيدس بلعباس، الجزائر، 2019.
23. بلعربي خالد ومحمد ناصري، الحرب والمثقف بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر أنموذجا، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، ع1، جامعة معسكر، الجزائر، 2021.
24. بخيتي البشير وخوان أمينة، الأمن النفسي وعلاقته بالاكتئاب لدى الأطفال اليتامى، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مج10، ع3، مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017.

25. بوتشيش ابراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993.
26. تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، المغرب منشورات عكاظ،2010.
27. حميدي مليكة، المرأة المغربية في عهد المرابطين 448-541هـ/1056-1146م دراسة تاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2011.
28. خليلي بختة، الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط الزياني، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد السابع، العدد 21، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2015.
29. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
30. محمد عماد الدين اسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986.
31. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/ 1192- 1520م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009.

الهوامش:

1- ابن الأثير محمد، الكامل في التاريخ، مج8، تح، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص373. انظر تفاصيل هذه المعركة وما أفضت إليه عند: ابن عذاري أبو عبد الله المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح، ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص299، النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج24، تح، عبد المجيد ترحيني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م، ص123.

2- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص08.

3- حول تفاصيل هذه الأحداث، ينظر: ابن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص386، ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص291، الناصري أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تح، جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص79-80.

4- للتفصيل أكثر في هذه المسألة، ينظر: تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، المغرب منشورات عكاظ،2010، ص320.

5- محمد عماد الدين اسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986، ص155.

6- الونشريسي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب، ج5، اخراج، محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، 1401هـ/ 1981م، ص180.

7- المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح، مختار حساني، ج3، الجزائر، دار الكتاب العربي،2009، ص38.

8- البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج2، تح، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص271.

9- المازوني، المصدر السابق، ج2، ص136.

10- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص19.

11- المصدر نفسه، ج1، ص366.

12- البرزلي، المصدر السابق، ج2، ص406.

13- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص113، 164، ابن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية، تح، سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1429هـ/2008، ص521، تيتاو، المرجع السابق، ص377.

14- الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص72.

15- المصدر نفسه، ج5، ص289.

16- الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص19، تيتاو، المرجع السابق، ص. 390.

17- التلمساني ابن مريم محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه، 1336هـ/1908م، ص38، الحفناوي محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، الجزائر مطبعة بيير فونطانة،1324هـ/ 1906م، ص38.

18- وجميل هو ما أشار إليه الحداد، بأنّ للنفي تأثيرا نفسيا رهيبا على ضحيته؛ ذلك أنّه من الصعوبة بمكان على المنفي أن يترك أهله وبلده. حميد الحداد، النفي والعنف في الغرب الاسلامي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص16.

19- ابن خلدون، العبر، ج6، ص206، الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1، ص82.

20- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، المغرب، 1972، ص116.

21- ابن خلدون، العبر،ج7، ص115، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص310، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص32.

22- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص54. راجع كذلك: بلعربي خالد ومحمد ناصري، الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر أنموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، جامعة الجيلالي اليابس سيدس بلعباس، الجزائر، 2019، ص105.

23- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص126.

24- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص127.

25- النويري، المصدر السابق ، ص108.

26- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص386، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص80.

27- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص382، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص69.

28- خليلي بختة، الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط الزياني، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد السابع، العدد 21، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2015، ص240.

29- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص254.

30- انظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص13-14.

31- والاكتئاب: "هو حالة من الحزن الشديد تنتج عن الظروف المحزنة الأليمة، وتعبر عن شيء مفقود، وإن كان شخص المكتئب لا يعي المصدر الحقيقي لحزنه". بخيتي البشير وخوان أمينة، الأمن النفسي وعلاقته بالاكتئاب لدى الأطفال اليتامى، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مج10، ع3، مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017، ص73.

32- ابن خلدون، العبر، ج6، ص440.

33- ابن خلدون، العبر، ج7، ص148، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص125.

34- التنبكتي أحمد بابا (ت1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/ 1989م، ص572.

35- ابن مريم، المصدر السابق، ص38، التنبكتي، المصدر السابق، ص412، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص89.

36- بوتشيش ابراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص60.

37- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص103.

38- ابن قنفذ، أنس الفقير، ص66.

39- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص166.

40- بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن 4هـ/10م، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2003، ص400، مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين 448-541هـ/1056-1146م دراسة تاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2011، ص48.

41- ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق، الدراجي بوزياني، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص126، بلعربي خالد ومحمد ناصري، الحرب والمثقف بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر أنموذجا، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، ع1، جامعة معسكر، الجزائر، 2021، ص612.